دروس من هدي القرآن الكريم

المولد النبوي الشريف

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيرا الحمد لله الذي هدانا للإسلام وجعلنا من أمة خير الأنام سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، الحمد الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، اللهم واجعل أزكى وأفضل وأسمى صلواتك وبركاتك على نبيك الذي بعثته رحمة للعالمين ليخرج عبادك من الظلمات إلى النور ، ليهديهم إلى الصراط المستقيم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.
هذا النبي العظيم الذي نجتمع في هذه أليليله المباركة لنحيي ذكرى مولده صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لأن مولده صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعتبر مولداً للنور ، مولداً للعزة مولداً للهداية والكرامة، مولداً للإباء والحرية، مولداً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور على حد التعبير القرآني، على حد التعبير القرآني المنزل من الله سبحانه وتعالى.
ونحن نرجوا من الله سبحانه وتعالى أن نكون بإحيائنا لهذه المناسبة العظيمة قد شاركنا بالإشادة بذكره صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأن الله سبحانه وتعالى يريد منا أن نشيد بذكر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، يريد منا أن نحيي ذكرى، يريد منا أن يكون محمدا بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه حياً في مشاعرنا حياً في عقولنا، حياً في وجداننا، الله سبحانه وتعالى عندما قرن إسمه بإسمه عندما قرن الشهادة بوحدانيته بالشهادة برسالته، عندما قال سبحانه وتعالى :(ورفعنا لك ذكرك) وجعل ذكره مقروناً بذكره كل يوم خمس مرات في الأذان وفي الصلاة إنما ذلك ليبقى محمد بن عبد الله قدوة لهذه الأمة ليبقى محمد بن عبد الله حياً في وجدان الأمة، ليبقى محمد بن عبد الله نبراساً وعلماً تستضيء به الأمة وتستنير بهديه في كل مراحل حياتها.
فنحن عندما نشارك في إحياء مولده صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إنما نشيد بذكره لأن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لم يكن شخصا عاديا، لم يكن مجرد بشر عاديا كما يقول الآخرون، وللأسف من هم محسوبون على الإسلام، يقولون محمد رجل عادي بشر جاء برسالة، هكذا يقول الوهابيون، وهكذا ينظر الوهابيون إلى رسو الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وللأسف الشديد أنهم أفرطوا في هذا الموضوع ، فقالوا رسول الله مجرد بشر، يصورونه لنا ويصورونه للناس أن محمد بن عبدالله مجرد رجل من مكة جاء جبريل إلى عنده وقال : خذ يا محمد هذه الرسالة وبلغها إلى الناس ... ثم راحوا.
القضية ليست بهذا الشكل، هذا حط من مكانة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هذا تحطيم لما يريد الله أن يبقى محمد بن بن عبد الله عظيم في نفوس الأمة، في نفس كل فرد من أفراد هذه الأمة، يريدون أن يصوروه فقط مجرد رجل جاء بمكتوب من عند الله وقرأه على الناس وليس هناك أكثر من هذا ، لا، رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عظيم، رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يوجد على هذا الثرى أو على هذه الأرض ، لم يخلق الله سبحانه وتعالى أفضل منه من بني آدم أجمعين.
وعندما نحاول أيها الإخوة أن نحيي هذه الذكرى ، إنما أيضا لنشكر الله سبحانه وتعالى على ما امتن به علينا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رسولاً إلينا، أو على ما امتن به علينا أن جعلنا من أمة هذا النبي العظيم الذي جعله أفضل وخاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وعليهم أجمعين.
وحينما نستعرض القرآن ، نجد أن الله سبحانه وتعالى في حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ذكر بأنه نعمه أمتن بها ، الله سبحانه وتعالى يقول:(كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ) هذه الآية تؤكد بأن بعثَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأن مولد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإبتعاثه نبياً هادياً لهذه الأمة إنما هي نعمة عظيمة ، نعمة لا نستطيع أن نؤدي شكرها ، وإنما نحيي مثل هذه الذكرى نحيي مثل هذه الذكرى نحاول أن نعبر عن مدى ما يمكننا ، عن مدى ما نكنه من تقدير لهذه النعمة الإلهية العظيمة.

(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) فاذكروني على هذه النعمة واشكروا لي ولا تكفرون.

أيضاً يقول سبحانه وتعالى في آية أخرى :(لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) ويقول سبحانه وتعالى :(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) .

فرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلا شك نعمة عظيمة ، نعمة مهداة ، رحمة للعالمين ، ولكن كيف يمكن أن نعرف مدى عظمة هذه النعمة ؟ لا نستطيع أن نعرف مدى عظم هذه النعمة إلا عندما نحمل عقولاً كبيرة ، عقولاً ملؤها معرفة الله ، نفوساً ملؤها حب الله ، نفوساً أبية تتوق إلى القيم والمبادئ الفاضلة ، حينذاك نستطيع أن نعرف مدى نعمة الله سبحانه وتعالى علينا بإبتعاثه لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رسولاً وهادياً.

إن الشخص الذي لا يعرف الله معرفة قوية ، الشخص الذي ليس لله عظمة في نفسه ، الشخص الذي لا تتوق نفسه إلى القيم الفاضلة والمبادئ السامية ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نظرة عادية ولا يعرف مدى النعمة التي أنعم الله بها عليه بإبتعاثه رسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم نبياً إليه وهادياً له، هذه أول نقطة يجب أن نعرفها.

عندما نعرف الله معرفة قوية ، عندما نحب الله حباً قوياً سينعكس ذلك ، عندما نعظم الله تعظيماً كبيراً يليق بجلاله ، سينعكس كل ذلك على تقديرنا لمكانة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم،وشعورنا بالعظمة التي منحها الله له ، والمكانة السامية التي وضعه الله سبحانه وتعالى فيها.

الله سبحانه وتعالى عندما يجعل إبتعاث هذا النبي العظيم نعمةً ، نعمة يمتن بها على عباده ، الله إنما يمتن بعظيم النعم ، وعندما يمتن بهذه النعمة يريد منا أن نتأمل جيداً في جوانب هذه النعمة.

لنعرف من أي جانب يعتبر محمد بن عبدالله نعمةً لنا ونعمة علينا ، الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعل له عقلاً يزن به الأمور ، عقلاً يقيس به الأمور ، عقلاً يعرف به الفضيلة والرذيلة ، عقلاً يعرف به القيم الفاضلة يعرف به كل شيء يدخل في إطار ما يسمى بنور وما يسمى بضلال .

الله سبحانه وتعالى يريد منا بعقولنا أن نعرف مكأنة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولكن كما أسلفت سابقاً ، الشخص الذي ليس للمبادئ الإسلامية ، ليس للقيم الإنسانية مكانةً وعظمةً في نفسه ، لا ينظر إلى محمد ولا ينظر إلى المبادئ التي جاء بها نظرة إعظام وإجلال.

عندما لا تتوق نفسك إلى العدل ، عندما لا تتوق نفسك إلى الحرية والإباء ، عندما لا تحمل في غرائزك السخاء والرحمة والعطف والمحبة والكرامة ، عندما لا تكون بهذا الشكل فإن محمد ليس له قيمة في نفسك.

يجب علينا أن نعرف أولاً:ـ نعرف الله معرفة جيدة ، ثم نعرف مدى عظمة القيم التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لنعرف بعد ذاك مدى النعمة التي أنعم الله بها علينا بإبتعاثه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وهكذا يريد الله منا أيها الإخوة ، وهكذا يريد منا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهكذا يريد منا الإسلام ، أن نكون أناساً تواقين إلى العدل ، أن نكون أناساً تواقين إلى الحرية ، أن نكون أناساً تواقين إلى الكرامة ، أن نكون أناساً تواقين إلى معالي الأمور ونبغض سفاسف الأمور ، هكذا يجب أن يكون الإنسان الذي فضله الله على كثير من مخلوقاته ، الإنسان الذي كرمه الله على كثير من مخلوقاته.

الله سبحانه وتعالى يريد من الإنسان أن يكون أن يحمل نفساً سامية ، نفساً عالية ، عند ذلك عندما يحمل نفساً سامية عندما يحمل روحاً عالية سيعرف مواقع نعمة الله عليه سواءً كانت نعمة الله عليه بهدايته للإيمان ، سواءً كانت نعمة الله عليه بأن جعله من أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وغير ذلك من النعم التي لا يحصيها الإنسان ، نعم الله العظيمة.

صلوا على محمد وآل محمد :

اللهم صل على محمد وآل محمد ، اللهم صل على محمد وآل محمد ، اللهم صل على محمد وآل محمد.

لقد جرت العادة أيها الإخوة في سبيل الحديث عن الفارق بين عصر النبوة وبين العصر الجاهلي وبين المبادئ التي جاء بها محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وبين ما كانت تعيش فيه الأمة العربية والبشرية عموماً ، قبل مبعثه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

لقد جرت العادة أن نتحدث بأن ذلك العصر قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي أيام مبعثه كان عصراً تسوده الوحشية يسوده الجهل ، يسوده الضلال ، يسوده القطيعة ، قطيعة الرحم تسوده الرذيلة ، هكذا نتحدث.

ولكن في الواقع أيها الإخوة أنه ليس ذلك العصر ، بل نحن الآن وفي الجاهلية الأخرى التي تعتبر أسوء من الجاهلية الأولى ، نعيش كبشر ، تعيش البشرية عموماً تلك ، بل أسوء من تلك الرذائل التي كان يعيشها المجتمع الجاهلي قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وعندما نعود إلى التعبير القرآني باختصار ، فإنه يسمي ذلك العصر الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وما قبله ، يسميه بضلال.

عندما قال سبحانه وتعالى :﴿ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ وهذه الكلمة ، كلمة للهضلال لله تشمل كل ما يعنيه الضلال ، ضلال الجهل ، ضلال الشرك ، ضلال الوحشية ، ضلال الخرافات ، ضلال التقاطع والبغضاء والعداوة والبغضاء فيما بين المجتمع ، والتفكك الذي يعيشه ذلك المجتمع كل ذلك يسمى ضلال ، وأعظم ضلال عاشت فيه الأمة هو ضلال الشرك لأن الشرك يعتبر من أقبح ما يمكن أن يدخل في عقل الإنسان أو في نفسه ، لأن الشرك معناه أنك تنكرت لله كاملاً ، معناه أنك انحرفت إنحرافاً رهيباً وبعيداً ، عندما يخلق الله سبحانه وتعالى هذا العالم بكل ما فيه من الدلائل على وحدانيته ، بكل ما فيه من الدلائل على أنه هو الخالق على أنه هو الرازق على أنه هو القادر على أنه هو المحيي والمميت ، ثم تأتي لتعبد غيره ، ثم تأتي لتشكر غيره ، ثم تأتي لتسجد لغيره.

ولهذا ركز القرآن وركز الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم من بداية دعوته على إزالة هذه الخرافة التي هي الشرك وهذا الإنحراف الشديد الذي هو الشرك ، أن يزيحه أولاً من أفكار الناس قبل أن يضع التشريعات الأخرى.

فكان مطلع رسالته وكان ديباجة رسالته ، هو وحدانية الله سبحانه وتعالى ، فيدعو الناس إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن يقروا بأن لا إله إلا الله وأن يوحدوا الله سبحانه وتعالى.

ونحن وإن كنا في هذا العصر وإن كانت البشرية في هذا العصر لا تعبد أصناماً حجرية فلقد أصبح البشر كثير منهم يعبدون بعضهم بعضاً ، أصبح البشر يعبدون المال أصبح البشر يعبدون الدنيا ، كثير من الناس أصبحوا يعبدون أهوائهم ، يعبدون أموالهم يعبدون بشراً ضالين عن نهج الله.

فنحن وإن لم تكن البشرية على ذلك الشكل الذي كانت عليه أيام وقبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، إنه فعلاً إن وضع الأمة شبيه بذلك الوضع الذي كانت عليه الأمة قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

صلوا على محمد وآل محمد :

اللهم صل على محمد وآل محمد ، اللهم صل على محمد وآل محمد ، اللهم صل على محمد وآل محمد.

عندما نحاول أيها الأخوة أن نتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فإن الإنسان مهما حاول ومهما أعطي من قدرة بيانية مهما أعطي من سعة إطلاع ، لا يستطيع أن يعبر ، أو لا يستطيع أن يصل إلى مدى التعبير القرآني الذي عبر الله سبحانه وتعالى به بمدحه وثناءه ووصفه لرسوله الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم عندما يقول سبحانه وتعالى :(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) لأنك عندما تمدح شخصاً ، تمدح فيه جانب الكرم مثلاً ، تمدحه باعتباره شجاعاً ، تمدحه باعتباره سخياً ،أو تمدحه باعتباره كريماً ، أو تمدحه بأي صفة من الصفات ، أو بجلة من صفة مكارم الأخلاق ، ولكن الله سبحانه وتعالى أثنى عليه باوجز عباره، ثناءً شاملاً ، ثناءً عاماً ، عندما قال سبحانه وتعالى :(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) بهذا التوكيد.

وعندما يقول :(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) فإن هذا يعني إنك يا محمد عظيم في حلمك عظيم في شجاعتك ، عظيم في صبرك ، عظيم في عطفك ورحمتك ، عظيم في كل مكارم الأخلاق التي يمكن أن يتسم بها بشر من عباد الله سبحانه وتعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).

وعندما يثني الله سبحانه وتعالى هذا الثناء الحاصل على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فإنما ليؤكد لنا بأن هذه الإشادة هي في نفس الوقت إشادة بقيمة المبادئ التي يحملها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

يعني بإختصار أن أقول لكم : بأن عظمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، بأن عظمة محمد وسمو مكانته كلها لسمو وعظمة المبادئ التي يحملها ، هذه المبادئ التي نحن كبشر وكمسلمين محسوبين على الإسلام لا نعطيها أي قيمة ، لا نعطيها أي إهتمام ، لا نحاول أن نتحلى بها ، لا نحاول أن نروض أنفسنا على تقبلها ، هذه المبادئ العظيمة هي نفسها التي من أجلها أشاد الله سبحانه وتعالى بذكر رسوله ورفع مكانته ، ووصفه بهذا الوصف العظيم :(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).

وهذا يؤكد أيضاً بأن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يكن مجرد بشر عادي كما يقول الوهابيون ، بل كان إنساناً متكاملاً لأن الرسالة عظيمة ، الرسالة شاملة ، الرسالة هامة ، هذه الرسالة بعظمتها بشموليتها بعظم مبادئها وسمو القيم التي تحملها ، إنما يتحملها شخص مثل محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

صلوا على محمد وآل محمد :

اللهم صل على محمد وآل محمد ، اللهم صل على محمد وآل محمد ، اللهم صل على محمد وآل محمد.

وعندما نعرف مدى إشادة الله سبحانه وتعالى بذكر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، عندما نعرف ذلك يجب أن نعرف ما هي عظمة الرسالة ، أو ما هي الرسالة وما مدى عظمتها ، هذه الرسالة التي بعثه الله سبحانه وتعالى بها .

في نفس هذه الآيات التي تلوناها والتي تحدثت عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم باعتباره نعمة أمتن الله بها على عباده تحدث في نفس الوقت عن مضامين الرسالة التي بعث بها محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ولهذا قال سبحانه وتعالى :(يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) يتلو عليهم القرآن وما أعظم القرآن ما أشمل القرآن ما أعظم هداية القرآن ، هذا القرآن الذي وصفه الله سبحانه وتعالى أنه نور وحكمة وهداية للبشر ، الله سبحانه وتعالى جعل من مهمة نبيه أن يتلو على الناس هذا القرآن ، وتلاوة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم معناه أن يتحدث بالقرآن في الأوقات التي عندما ينزل به جبريل عليه السلام على قلبه بعد ذلك يتحدث به على الناس ، ولكن عندما يتحدث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بآية من القرآن تختلف عن أن يتحدث بها أي أحد منا تختلف إختلافاً كبيراً ، عندما يقرأه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عندما يشرحه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عندما يتحدث عن أبعاد الآية التي يقرأها ، هذه هي تلاوة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم للقرآن (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ) ، ما هي التزكية ؟ يطهرهم من دنس الجاهلية وخرافاتها ، يزكيهم يزكي أنفسهم لتصبح نفوساً زاكيةً طاهرة ، والنفس الزاكية الطاهرة تختلف أختلافاً كبيراً أيها الإخوة ، في عطائها في بذلها في إيجابياتها في مآثرها تختلف إختلافاً كبيراً عن النفس الدنسة عن النفس المشبعة بالرذائل

، تختلف إختلافاً كبيراً في تأثيرها تأثير كلٍ منهما على مسيرة حياة البشرية ، هذا يبني وهذا يهدم ، هذا يصلح وهذا يفسد ، وكل ذلك منطلقة النفس ، إذا كانت النفس زاكية زكت الأعمال ، إذا زكت الأعمال زكى المجتمع ، عندما تكون النفس خبيثةً مدنسةً بالرذائل تكون الأعمال دنسةً وفاسدة وبالتالي يفسد المجتمع ويتحول إلى جحيم يعيش فيه الناس.

(وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) الكتاب هو القرآن وعندما يقول سبحانه وتعالى :(وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) ليس فقط مجرد تلاوته من الفه إلى يائه ، لا.

إن القرآن بحر عميق لا يدرك قعره ، إن القرآن معانيه سامية ، مضامينه عظيمة جداً جداً عندما يعلمهم القرآن ، كان أسلوب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم التربوي في تعليم أصحابه للقرآن يختلف اختلافاً كبيراً عن أساليبنا نحن في تعليم بعضنا بعضاً للقرآن ، لاحظوا الفرق كبير أيها الإخوة ،ربما أو على حسب ما أعتقد أن كثير من الصحابة الذين جاهدوا جهاداً مريراً في سبيل إعلاء كلمة الله بين أيدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، معظمهم لم يكن قد عرف القرآن كله كما نعرفه نحن.

بعضهم جاهد والقرآن بعد واستشهد والقرآن بعد لم ينزل سوى ثلثاه لم ينزل إلا بعضه وجاهد واستشهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسمت روحه وزكت نفسه وأصبح إنساناً يختلف إختلافاً كبيراً عن المجتمع الذي عاشه أو عن تأثيرات المجتمع الذي عاشه قبل الرسالة وأصبح إنساناً مضحياً أصبح إنساناً معطياً أصبح إنساناً سابقاً إلى الخيرات ، وهو بعد لم يعرف من القرآن إلا بعضه ، بينما نحن والكثير منا يعرف القرآن كله ونقرأه من ألفه إلى يائه من فاتحة الكتاب إلى أخر صوره فيه.

فما هو الفرق؟ هو أسلوبنا التربوي يختلف عن أسلوب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذين كانوا يستمعون لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي كان يحدثهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ويقرأ عليهم القرآن كان يبنيهم بناءاً صحيحاً ، كان يبنيهم ويرصهم رصاً واحداً على واحد بشكل بينان مرصوص حتى كانوا يخرجوا إلى ميادين الجهاد وهم صفاً واحداً ، وقلباً واحداً ، ويد واحدة ، وكانوا يزرعون الرعب في قلوب أعدائهم مسيرة شهر بهذه الروحية العالية.

لأنه عندما كان يقرأ عليهم القرآن عندما كان يحدثهم ، كان يربيهم تربية عالية وسامية ، كان يبعث في نفوسهم حب الله كان يربي في نفوسهم عظمة الله ، كان يربي في نفوسهم حب السبق إلى الخير ، كان يربي في نفوسهم الشعور بالمسئولية ، الشعور بالمسؤولية.

ونحن أيها الإخوة كطلاب علم يجب أن نعرف كيف كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يربي أصحابه كيف كان يلقن أصحابه القرآن حتى نعرف مدى الفرق بين نتاج وثمار ذلك الأسلوب الذي كان ينهجه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبين الأسلوب الذي تنتهجه حلقات العلم في عصرنا هذا ، أنه أسلوب مختلف إختلافاً كبيراً.

نحن قد نجلس عشرين شخصاً أو أربعين شخصاً نجلس نقرأ القرآن أو نقرأ دروساً في العلم ولكن كل واحد منا لا يشعر بأنه ضمن كتله واحدة لا يشعر منا بأنه ضمن أمة واحدة لا يشعر منا بأنه مع إخوانه ، يجب أن يكون صفاً واحداً ، ولا يشعر في نفسه بأنه يتحمل مسؤوليه كبيرة ، هي هداية الناس هي البيان للناس هي دعوة الناس ، وفي نفس الوقت الدفاع عن ما يتعلمه الدفاع عن العقيدة التي يدرسها والتي يتعلمها.

وهذا هو خطأ كبير أيها الإخوة عندما تتعلم وكل واحد منا يتعلم لنفسه ولا يفكر إلا في نفسه ، هذا خطأ كبير وهذا أسلوب يختلف إختلافاً كبيراً عن الأسلوب الذي كان ينهجه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع أصحابه ، هذا معنى قوله سبحانه وتعالى :(وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) ما هي الحكمة أيضاً؟ الحكمة لا يستطيع الإنسان أن يضع لها تعريفاً جامعاً مانعاً ، الحكمة تعني التصرف الحكيم في كل شؤون حياتك خاصةً إذا كنت طالب علم ، خاصةً إذا كنت إنساناً مصلحاً . خاصةً إذا كنت داعياً إلى الله ، فيجب أن تتحلى بالحكمة أن تعرف

كيف تدعو الناس، أن تعرف كيف تكسب الناس ، أن تعرف كيف أن تهدي الناس ، أن تعرف كيف تؤثر في الناس....

حين في هذا السبيل وفي هذا المجال، في مجال الدعوة إلى الله وفي مجال إصلاح عباد الله سبحانه وتعالى.

اللهم صل على محمد وآل محمد ، للهم صل على محمد وآل محمد ، للهم صل على محمد وآل محمد.

عندما نحاول أيها الإخوة أن نقرأ سيرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نجد أنه فعلاً ضرب أروع الأمثلة ، في كل ما يصدق عليه أنه خلقٌ من الأخلاق الإسلامية ، في كل ما يصدق عليه أنه فضيلة في صبره في حلمه في سخائه في شجاعته في كرمه في عطفه في رحمته في حرصه على هداية الناس.

والشيء الذي يلفت نظر الإنسان الشيء الذي يدهش الإنسان أيها الإخوة في شخصية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والذي أعتقد أنا بأنه من أبرز الصفات التي جعله الله سبحانه وتعالى أفضل الأنبياء ، أنها من أبرز السمات التي جعله أللّه سبحانه وتعالى أفضل خلقه ، أفضل بني البشر جميعاً ، وهو صفه عجيبة جداً إذا تأملنا القرآن وتأملنا ما تحدث الله به سبحانه وتعالى عن نبيه وما تحدث به عن بقية الأنبياء ، نعرف ما هو السر في تفضيل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على بقية الأنبياء.

ذلك هو حرصه الشديد صلى الله عليه وعلى آله وسلم على هداية الناس ، هذه هي السمة العظيمة في رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي كانت مثار إعجاب والتي تدهش الإنسان عندما يتأملها في القرآن .

لاحظوا الله سبحانه وتعالى أرسل رسله وبعث أنبياءهُ ليدعو الناس للهداية ليدعوهم إلى صراط مستقيم وكثير من الأنبياء بل كل الأنبياء ، عانوا معاناةٍ شديدة مع أممهم ، عانوا معاناة رهيبة منهم من قتل منهم من نشر بالمناشير منهم من عذب منهم من طرد وكل الأنبياء لهم فضل عظيم.

لكن الشيء الملفت عندما تتأمل القرآن هو حرص رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحرص الشديد والإندفاع العارم على هداية الناس كل الناس،حتى ألد أعداءه كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم حريصاً على هدايتهم ولهذا كانت هذه الصفة بشكل جعلت الله سبحانه وتعالى الذي يأمرنا في القرآن وكلف أنبيائه وأمر جميع المصلحين أن يكونوا دعاةً وأن يكونوا هداةً ، لكن محمداً بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في هذا المجال جعل الله سبحانه وتعالى يهدأ من روعه ويهون عليه (طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) لاحظوا الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ليهدي ، الناس أنزل عليه القرآن ليهدي الناس ، لكن محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم كانت لديه نفسية زاكية جداً جداً ، كان لديه عطف ورحمة بالناس جميعاً بشكل جعله حريصاً على هدايتهم إلى الدرجة التي جعلت الله سبحانه وتعالى يقول له: هون عليك ، هون عليك يا محمد (طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى) لا تتعب نفسك إلى هذه الدرجة ، من منا يمكن أن يقول الله سبحانه وتعالى هون على نفسك ، لا تتعب نفسك إلى هذه الدرجة ، نحن بعد لم نحمل مثقال واحداً من ألف مثقال من الحرص الذي كان يتحلى به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في هداية الناس ، وفي مجال هداية الناس ، كذلك يقول الله سبحانه وتعالى :(فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) مالك يا محمد تكأد أن تقتل نفسك تكاد أن تهلك نفسك أسفاً لما لم يؤمن هؤلاء (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) (لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) (إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ) (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ) لاحظوا هذه الآيات تعطينا في مجال معرفة عظمة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تعطينا شعوراً عظيماً جداً بمكانة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

هل تحدث الله عن نبي من أنبيائه في القرآن بهذا المنطق :(إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ) (لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) هو يقول للنبي ، هون هون على نفسك [بشويش] هون على نفسك ، لا تقتل نفسك ، هو يكاد أن يبتلع الناس من شدة حرصه على هداية الناس ، يكاد أن يمسك الناس جميعاً ويدخلهم الجنة ، يكاد أن....

لو أن الإيمان شيء مادي لحاول أن يضعه في كل قلب من أفراد الأمة ، حتى في قلب أبي لهب في قلب أبـي سـفيان في قلب أعتى عتاة قريش ، وأعتى عتاة الكفار ممن كانوا يذيقونه أشد العذاب ويحاولوا أن يؤذوه أشـد الأذى ، هذه هي صفة عجيبة وهذه هي من الصفات التي يجب أن نتأسى برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيها.

لأن الله سبحانه وتعالى بعد أن تحدث عن رسوله بعد أن أثنى عليه هذا الثناء العظيم بعد أن عـرض علينـا مـا كان يحمله من حرص شديد على هداية الناس ، قال بعد ذلك :(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) نتأسى برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وأول ما يجب أن نتأسى به هو ، حرصنا على هداية الناس سواء من كان منا عالماً أو متعلماً أو وجيهاً أو أي شخصاٍ عادياٍ باستطاعته أن يحمل ولو مثقالاٍ من الحرص الذي كان يحمله الرسول صلى الله عليـه وعلـى آلـه وسـلم في سبيل هداية الناس.

عندما يكون هناك مركز علمي عندما تكون هناك مدرسة علمية ، فإنه يجب أن تكون حريصاً جداً علـى أن تكـون هذه المدرسة ناجحة في أعمالها أن تدعم هذه المدرسة أن تساعد هذه المدرسة أن تكون حريصاً على المشـاركة في هداية الناس.

ولاحظوا كل شخص منا وإن كان أمياً يستطيع أن يشارك في هداية الناس ، تستطيع بمالك ، تسـتطيع بلسـانك ، تستطيع بقلمك ، تستطيع بكل ما تملكه من قدرات وطاقات أن تساهم في مجال هداية الناس.

وهداية الناس هي من أعظم الأجر عند الله [لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليـه الشـمس] في حديث شريف قاله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

كذلك أيها الإخوة يجب أن نتأسى برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ماذا ؟ في إيماننا بأهمية وعظمـة المبادئ ، والقيم الإسلامية لأن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال كلمة عجيبة جداً في هذا المجال عندما عرض عليه كفار قريش أن يتخلى عن رسالته ويعطوه كل ما طلب ، قـال :[والله يـا عـم لـو وضـعوا الشـمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه] لمـاذا هـذا الإصـرار العجيب ؟ لأن محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعرف عظمة الرسالة التي يحملها يعرف أهمية المبادئ الـتي يدعو إليها يعرف حاجة البشرية إلى هذه الرسالة إلى هذه الشريعة السماوية التي جاء بهـا مـن الله سـبحانه وتعالى ، لذلك كان حريصاً إلى هذه الدرجة [لو وضعوا الشمس في يمينه ووضعوا القمر في يساره على أن يترك هذا الأمر ما تركه حتى يظهره الله أو يهلك دونه].

يضحي تضحية مستميتة في سبيل أن يظهره ألله ، أن يظهر هذا الدين ، وفعلاً وعد الله سبحانه وتعالى رسـوله محمد صلى الله عليه وعلى آله بأن يظهر هذا الدين.

وبإختصار أيها الإخوة ، لقد كانت رسالة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بل وشخصيته كما عرضـها الله سبحانه وتعالى في هذه الآية العظيمة عندما قال :(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) كـان رسـول الله صـلى الله عليـه وعلـى آلـه وسـلم مبشـراً للمـؤمنين نـذيراً للظـالمين والجاحدين ، كان داعياً إلى الله ، كان سراجاً منيراً وصفه الله بأنه سراجاً منيراً ، ولن يكون سراجاً مـنيراً إلا لمـن يحاول أن يتعرف على عظمة الرسالة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسـلم ، إلا لمـن حـاول أن يتعرف على شخصية محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى يحبه حباً كبيراً ، وحب رسول الله صلى الله عليـه وعلى آله من أركان الإيمان [لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله ومن الناس أجمعين].

يجب أن نتحلى بالحب القوي لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله حتى يكـون حبنـا لـه دافعاً لنـا إلى أن نسـير بسيرته وإلى أن ننهج نهجه وإلى أن نسلك سلوكه وإلى أن نجعل منه قـدوةً وأسـوةً لنـا كمـا يريـد الله سـبحانه وتعالى هذا هو ما يجب علينا.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب أجرنا في إحيائنا لذكرى مولده صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأن يجعلنا من السائرين على نهجه وأن يجعلنا ممن يحب رسوله حباً قوياً وممن يحب أولياءه ، إنه على كل شيء قدير ، وأن يُشفع فينا رسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.